قد تعاهدنا

محمد مكي – مصر

" هل ترانا نلتقي أم أنها كانت اللقيا على أرض السراب "

كانت كلمات تلك الأنشودة تداعب أُذني فتثير في نفسي شجون وحنين إلى ذكريات جميلة عشتها معها. في الحقيقة كل ذكرياتي معها جميلة. أول خفقة قلب أول إبتسامة أول كلمة حب أول لمسة يد تظاهرت فيها بالعفوية منذ أن تعلق بها قلبي والحلم بداخله وُلد.

ستكون هذه الفتاه زوجتي وأم أبنائي، فهذه الفتاة لا يعشقها إلا راغب حلال. جديرة هي بأن تكون شريكة حياة من يبغي العفاف والسكن والوفاء والعشق، كبر الحلم مع الأيام وانطلقت أعارك الحياة لتحقيقه فتحقق.

وكانت أسعد لياليَ حين صرنا أنا وهي تحت سقف واحد وقد ربطنا ميثاق غليظ.. صارت الريحانة زوجتي..

" قد تعاهدنا على السير معا "

تواصل الكلمات مداعبة الخاطر. فيفيض بسيل من مشاهد تلك الليلة، كل بسمة من بين ثنايا شفتيها كل نظرة خجلة أخضعت قلبي لها، كل رحيق فاح مع أنفاسها كل مداعبة بدأت على إستحياء ثم مضت جريئة ماتعة.. تذكرت مع الكلمات عهد الليلة الأولى الذي وعدتني به .. أنا معك يا حبيبي حتى أخر العمر

هذا عهدي لك، وبإذن الله ستجمعنا الجنة في الآخرة.

أن تغازل القمر .. فهذا يفعله كل العشاق .. أما أن يعاهدك القمر عهداً كهذا .. فذاك شرف لا يناله إلا ذو حظ عظيم..

" قد تعاهدنا على السير معا "

- يا حبيبي عاهدني

- أعاهدك .. أن أسعدك ما حييت

- وعهد أخر

- و لكِ كل العهود

- عاهدني أن تأخذني نحو طاعة الله .. وألا تقصر في حق رعيتك ..

- أعاهدك .. وأنتِ كذلك عاهديني

- والذي جبر خاطري واستجاب دعوات سجودي .. أعاهدك

يسير شريط الذكريات بانسيابيه تناسب اللحن الحزين للأنشودة، صورة لأجمل زوجة.. ومشهد لرؤيا قصصتها عليها. وهي تنصت باهتمام.. رأيت يا حبيبتي أننا في قارب أنا وأنتِ فقط كنتِ تمسكين المجداف بيدك بينما كنتُ أصطاد ..

قالت : حلم جميل .. ليتنا نفعل .. وهل أصطدت ؟

قلت : سمكة واحدة أخرجتها من البحر ثم أعطيتها لكِ وطلبت منكِ أن تحافظي عليها جيداً ..

قالت بشغف : ثم ماذا؟

قلت : عاهدتك حافظه للأمانة .. حتى في الأحلام ..

ابتسمت بخجل وقالت بدلال : ماذا فعلت في الأحلام ..

قلت : وضعتيها في صندوق بالقارب .. و وعدتني بالحفاظ عليها

قالت : هل فسرته؟

قلت : سألت .

قالت : وما تفسيره؟

قلت : سيرزقنا الله بمولوده .

مازلت أشعر بدفء حضنها من وقتها .. لم أكمل لها تفسير الرؤيا، أن تقطع جسدي قطعة قطعة أهون عندي من إفساد سعادة نوارة حياتي.

أولم نمضي على الدرب معاً

"فمضينا في طريق شائك .. نتخلى فيه عن كل الرغاب "

وكأن للكلمات أصابع تضغط برفق على قلبي .. لا أعلم هل يحزنني الضغط أم يسعدني الرفق .. تذكرت نفس البيت الشعري حين كنا نردده معاً في قاعة

المحكمة .. تفصل بيننا قضبان القفص الحديدي .. بلا جدوى فهيهات هيهات أن تفصل القضبان بين قلوب تعاهدت .. ونفوس وفت.. لم تتخلى عني يوماً كانت تؤمن بالقضية .

قالت يومها : سأنتظرك مهما طال الغياب

قلت : الظلم غشوم ولا ذنب لكِ

قالت : أسكت . أرجوك "أولم نمضي على الدرب معاً"

قلت : ما زلتِ شابه صغيرة

قالت: ناولني يدك

مددت يدي من بين القضبان . فاقتربت ومسكت كفي ووضعته على بطنها .. كدت أصيح من شدة الفرح .. لكن للقيد أحكام

قلت : حامل ؟!

قالت: لا تخف على سمكتك

ثم رفعت يمناها بين القضبان ومسحت دمعة سقطت من عيني لم أخجل يوماً من دمعي بين يديها .. أوَ يخجل أحد م نفسه

" لم يعد يبرق في ليلي ثنا قد توارت كل أنوار الشهاب "

أاااه من هذا المقطع وحده يصف الواقع الآني وحده يقطع دوماً شريط الذكريات.. تفصلني مئات الأميال عن نورها.. لا أعرف شيئاً عن حالها.. كيف تحيا ؟..كيف تقضي يومها ؟.. هل تعرف للطعام مذاقاً؟ .. وهى التي كانت تقول : لا طعم للأكل بدونك..

كيف تنام وهي لم تعرف النوم خارج حدود أحضاني.. لا أدري هل أسئلتي هذه عنها أم عني.. أسأل عن حالها أم أصف حالي.

لم يعد يبرق في ليلي ثنا..

تساقطت الدمعات من عيني.. حاولت صرف ذهني عن واقعي لم أستطع.. قررت النوم.. لكنه لم يقرر.. توسلت إليه ورجوته..فأجاب متثاقلاً.. بعد ساعتين .. أدركني..

في النوم راحة الأبدان والأرواح .. زارتني حبيبتي .. نظرت لي نظرة عتاب .. قلت: لماذا يا نَفسي ؟

قالت : نسيت بيتاً كنت تسمعه بصوتي دوماً ؟

قلت : أي بيت ؟

قالت: تذكُر النشيد وتنسى أهم ما فيه ؟!

قلت: سامحيني

قالت: أول وأخر مرة

قلت: أعاهدك على ذلك

قالت : بصوتها الساحر .. تدندن متحريه نفس اللحن ..

غير أنى سوف أمضي مثلما

كنت تلقاني في وجه الصعاب